18 القدس العربي مدارات

السنة الحادية عشرة ـ العدد 3253 الجمعة 22 تشرين الاول (اكتوبر) 1999 ـ 13 رجب 1420 هـ

الفتح الاسلامي لمصر بين الدلالة والتاريخ:

احتقار غير المسلمين واضطهادهم كان سببا في خراب الدولة الاسلامية وتأخر النهضة

ميشيل سمعان *

ليس مقصودا بهذا المقال نكء الجراح او اثارة النعرات، بل هو محاولة لاجلاء الوجه الحقيقي للتاريخ. فالتاريخ علم يتعامل مع الحقائق والوقائع لا الميول والرغبات.. واذا كان الوصول الى الحقيقة شاقا وصعبا، فانه يبقى في النهاية جميلا رائعا.

وبما ان موضوع تحرير مصر واهلها من جيوش الاحتلال الروماني، قد طرح مؤخرا في اطار الاحتفال بذكرى الفتح الاسلامي من وجهة نظر بعض الكتاب لخدمة دلالة بعينها (1)، لذا اريد ان اكون واضحا صريحا لاثبت للقارىء ما لا يصعب اثباته وما لا يسهل الهروب منه، مستندا الى وقائع التاريخ، وليس اقوى من التاريخ حجة.. ومن الوقائع سندا، ومن الاحداث دليلا.

كانت مصر على مر التاريخ مكانا تتداخل فيه حدود اعظم حضارات العالم القديم، وكانت نقطة وثوب للقوات الغازية، لذا اثار تاريخها اهتمام الباحثين، وشغل مصيرها عقول المؤرخين.

وبالرغم من توافر المعلومات التاريخية الخاصة بسيرة الفتح العربي الاسلامي، الا انها قد جاءت بالمتناقضات والاختلافات الشديدة، وفي مثل هذه الحالات يجب على الباحث الالتزام بالحياد والامانة العلمية في تقييم واختيار المصادر، مستخدما العقل والنزاهة في التحليل، متسلحا بالمنطقة في استخلاص النتائج، والشجاعة في عرض الحقائق، وخاصة في امور يشتبك فيها الاختلاف بميول الافراد نحو موروث تراثهم، ولعل هذا ما وقع فيه البعض كما سنوضح.

كانت مصر قبل الفتح العربي الاسلامي (639/640م) تحت الحكم الروماني، وكانت مظاهر الانحلال والشروخ في ذلك العصر قد بدأت تظهر في بنيان الامبراطورية الرومانية الشرقية، وعلى الرغم من تواجد وحدة عقائدية (مسيحية) كانت بمثابة رابطة روحانية داخل الامبراطورية، الا ان مقاومة الشعوب الخاضعة لها قد اخذت تزداد، وكانت الامبراطورية تمتص خيرات اطرافها لنفسها بينما ظلت شعوبها محرومة منها.

في عصر اتسم بالتفكير الغيبي وكاد ان يختفي العلمي منه، ظهرت التناقضات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتعبر عن نفسها باسلوب البنية الوفقية السائدة، وبشكل خفي عن الواقع في امبراطورية مشيدة على استغلال لا هوادة فيه لشعوب مقهورة مستضعفة.

ولذا نشب الخلاف المذهبي داخل الامبراطورية منذ عام 451م بين الكنيسة الملكانية ـ نسبة الى الملك ـ والكنيسة الوطنية في مصر والشام، الذي لم يكن في اساسه خلافا عقائديا باكثر منه سياسيا، فالاختلاف الاجتماعي بين اتباع المذهبين واضح، فاتباع المذهب الملكاني هم الطبقة الحاكمة ومن تقرب اليهم من المصريين او اهل الشام، بينما اتباع المذهب الاخر «اليعاقبة» كانوا من عامة الشعب، اتخذوا من هذا المذهب رمزا لاستقلالهم.

وليس من الحقيقة في شيء الزعم ان اهالي مصر رحبوا بالفتح الاسلامي واعتبروه محررا لهم من ظلم الاضطهاد الروماني، فاذا كانت مقاومة الشعب المصري للاحتلال الروماني في اساسها نبعت بسبب الاحتلال الاجنبي والاستغلال السافر، فان السؤال البديهي الذي يطرح نفسه هنا: هل كانت هذه المقاومة من اجل الاستقلال ام الانتقال من سيادة الامبراطور الروماني الى سيادة خليفة المسلمين؟ اكانت هذه المقاومة من اجل الخلاص من نير لاستبداله بنير آخر؟ ان هذا الزعم بعيد لا يستسيغه عقل، وهو فوق ذلك كله قلب للحقيقة ومسخ لها بأية حال فهم، ان المعلومات التاريخية الموثوق بصحتها بميزان العقل والمنطق تبطل امثال هذه المزاعم، وحجتنا في الاستدلال على ذلك قائمة بما اوردته المراجع صراحة دون تأويلها تأويلا يحمل النصوص والسياقات ما لا تحتمل اصلا. يقول الفريد بتلر في كتابه «فتح العرب لمصر» وهو كتاب تبوأ مكانة لدى كثير من الباحثين وحظي بعلو قدره: «بدأنا درس هذا التاريخ وكان الاعتقاد السائد ان القبط قد ساعدوا العرب ورحبوا بهم، الا اننا اضطررنا ان نعتقد ان التاريخ ظلم القبط في ذلك ظلما فاحشا» (2).

يقول بتلر في هذا الصدد: «روى المقريزي وابو المحاسن ان قبط الفرما ـ مدينة اثرية كانت مدخل مصر من الشرق ـ ساعدوا العرب اثناء الحصار، ولكن هذا غير صحيح، ولعل هذا رجوع الى القصة القديمة التي تعزو الى القبط ظلما مساعدتهم للفرس، ولم يرد ذكر لهذه المساعدة في كل ما كتب قبل القرن الرابع عشر، ولعل ما ذكرناه من اخذها عنوة يكفي لتفنيد هذا الزعم، ولو ساعد القبط العرب لما احرق هؤلاء السفن وهدموا الحصن، ولما فعلوا ما فعله الفرس من قبلهم من تخريب الكنائس الباقية في الفرما» (3).

ويستطرد بتلر: «ان مقاومة المصريين للعرب استطال امرها في بلاد مصر السفلى وظلت الى ما بعد فتح الاسكندرية، واذا ذكر ان اهل «تينيس» وما يليها من البلاد الواقعة في اقليم تلك البحيرة كانوا من القبط الخلص، تنبض قلوبهم بما تنبض قلوب القبط، عرفنا ان وقوع تلك الواقعة في ذلك الوقت، دليل جديد على فساد رأيين طالما خدعا الناس وتقادم عليهما الدهر وهما يكفران الحقيقة، وهذان الرأيان هما: ان مصر سلمت للعرب بغير قتال، وان القبط رحبوا بالعرب ورأوا فيهم الخلاص مما كانوا فيه». ويضيف: «لقد كانت خيانة قيرس المقوقس ـ نسبة الى بلاد القوقاز التي انحدر منها ـ للاسكندرية سببا في القضاء على آخر آمال المسيحيين بالفوز في مصر، ولكن من العجيب مع ذلك ان تدافع هذه البلاد المتفرقة في مصر السفلى جيوش الغزاة العرب، وتقاومهم نحو عام اخر، ففي هذه آية على ان اهلها كانوا قوما من اولى النخوة والحفاظ، بقوا على عهد دينهم وثبتوا عليه، ولكن التاريخ لم يجزهم بذلك مما يستحقونه من حسن الاحدوثة، بل لبث ينكرها عليهم زمنا طويلا» (4).

وعن معاملة العرب للمصريين يقول بتلر: «يلوح لنا ان جنود العرب لم يقووا على ان يخلصوا ممن لاقاهم من الروم، فعدلوا الى جانب الصرحاء وجعلوا يستاقون ما لاقوا من النعم. فأخذوا منها عددا عظيما، وما زالوا كذلك حتى بلغوا مدينة اسمها البهنسة ففتحوها عنوة وقتلوا من وجدوا منها من رجال ونسوة واطفال» (5). ويتابع في موضع اخر «ولما بلغت انباء نصر العرب الى الفيوم غادرها من بها من المسالح (..) ولما بلغ نبأ (دومنتيانوس) وهربه الى عمرو بن العاص بعث كتيبة من جنده عبروا النهر، وفتحوا مدينتي (الفيوم) و(ابويط) واحدثوا في اهلها مقتلة عظيمة، واصبح ذلك الاقليم تحت الحكم الاسلامي منذ ذلك الحين» (6).

ولما بلغت المصريون انباء تقدم جيوش العرب يقول بتلر «عند ذلك زاد الخوف وذعر الناس، وغلب الرعب على كل بلاد مصر، فأخذ الخلق يفدون افواجا من كل حدب الى الاسكندرية، تاركين اراضيهم وبيوتهم وما فيها من زرع وضرع ومتاع. وبذلك خرج اهل مصر من عهدة المقوقس (قيرس) واضطهاده الذي عصف بهم عشر سنين الى عهد اخر من الخوف والفزع» (7).

ويتابع بتلر في موضوع اخر «فلما بلغ جيش العرب اسوار الاسكندرية ورأى عمرو ما عليه المدينة من المنعة اشتد به الالم (..) وحلف لئن اظفره الله بها ليهدمن اسوارها حتى تكون مثل بيت الزانية يؤتى من كل مكان». ويضيف «ومهما يكن من الامر فقد اخذ العرب المدينة عنوة ودخلوها يقتلون ويغنمون ويحرقون حتى ذهب في الحريق كل ما كان باقيا على مقربة من الباب في الحي الشرقي، ومن ذلك كنيسة القديس مرقس، واستمر القتل حتى بلغ العرب وسط المدينة، فأمرهم عمرو ان يرفعوا ايديهم، وبنى مسجدا في الموضع الذي امر عمرو فيه برفع السيف وهو «مسجد الرحمة» (8) ويعلق بتلر «انه لمن الجدير بالذكر ان قواد العرب في هذا الوقت لم يميزوا بين قبطي ورومي، بل ظنوا ان الفئتين معا الب على قتالهم. وهذا يدل على انه لم يكن ثمة ما يدعوهم الى توقع محبة القبط لهم، ولا حيادهم في قتال الروم، ولو صح ان القبط رحبوا بالعرب عند اول مجيئهم الى مصر ورأوا فيهم الخلاص لركن قواد العرب في هذا الوقت الى ولاء القبط ومحبتهم ولتوقعوا منهم الود والمساعدة» (9).

لقد حاول عمرو بن العاص ان يستفيد من التناقض الموجود بين اتباع المذهبين في مصر فاعلن الامان لبطريق القبط بنيامين الذين كان مختبئا في اديرة الصحراء هربا من قيرس المقوقس. وقد حدا بعمرو انتهاج خطة رأى فيها ان امور السياسة لا تستقر في هذا البلد الا مع امور الدين، ويعلق بتلر على ذلك قائلا: «ليس ادل من هذا على افتراء التاريخ على القبط واتهامهم كذبا بأنهم ساعدوا العرب ورحبوا بهم ورأوا فيهم الخلاص، مع انهم اعداء بلادهم، ولو صح ان القبط رحبوا بالعرب لكان ذلك عن امر بطريقهم او رضائه، ولو رضى بنيامين بمثل هذه المساعدة واقرها لما بقي في منفاه ثلاث سنوات بعد تمام النصر للعرب، ثم لا يعود بعد ذلك من مخبأه الا بعهد وامان لا شرط فيه. ولو لم يكن في الحوادث دليل على كذب هذه الفرية غير هذا الحادث، لكان برهانا قويا، وان لم يكن برهانا قاطعا فهو حلقة نضمه الى سلسلة ما لدينا من الادلة، وقد اصبحت سلسلة لا يقوى على نقضها شيء» (10).

لقد جاء العرب الى مصر حبا في القتال لأجل الفيء والغنيمة، وعندما استتبت لهم امور البلاد اختلفوا على خيراتها. ولما اراد الخليفة عثمان ان يعبث بعمرو بن العاص ويجعل عبد الله بن سعد (بن ابي السرح) على خراجها، اجابه عمرو غاضبا: «انا اذا كماسك البقرة بقرنيها واخر يحلبها» (11).

يقول الباحث والمفكر خليل عبد الكريم في «شدو الربابة»: كان عمرو بن العاص الذي وطىء مصر بجيشه يستصفي الاموال من اصحابها ويرسلها الى المدينة لينعم بها المهاجرون والانصار، وفي احدى المرات ارسل قافلة اولها في المدينة واخرها بفسطاط مصر، محملة بالخيرات من عرق وجهد الفلاحين المصريين» (12)، ويتابع في موضوع آخر: «هل خرج الصحابة من جزيرتهم ليخرجوا العباد من عبادة الله الى عبادة رب العباد كما كانوا يعلنون ام خرجوا لكسح خيرات البلاد المفتوحة والاقتتال عليها؟».

1

انتفاضات القبط

كان الفتح الاسلامي من منظور الواقع احتلالا عسكريا، ولم يكن العرب في صدر الاسلام يدعون للدين بحرب اهل الذمة لأن في ذلك اضرارا بعائد الجزية، وانما كان يعني في الفتح بالدرجة الاولى الاستتباب العسكري والسياسي. ولذا لم يتعرض المسلمون في بادىء الامر لاهل الاديان الاخرى في شيء من شؤون دينهم وثقافتهم التي كانوا عليها، فتنفس القبط الصعداء، واخذ الوجود القبطي يتبلور بذاته ويحدد ملامحه التي تميزه.

ومع اتساع الخلافة وتمسك العرب المسلمين بعصبية النسب ورغبتهم في حشد الاموال لاصطناع التحزب والتمتع بملذات الدنيا، زاد بالتالي امتصاص البقرة الحلوب. وهبت الشعوب وزادت مقاومتها وثوراتها ضد استغلال الخلافة، وقد عرفت هذه التيارات الثورية في مصر بـ«انتفاضات القبط» والتي اخذت تتنامى في مطلع العصر الاموي وحتى العصر العباسي (275-831) اذ لم يواجه العباسيون بانتفاضات في مصر فقط، بل انتشرت هذه التيارات الثورية في كل ارجاء البلاد المفتوحة مطالبة باستقلالها بذاتيتها.

وقد ادرك الخليفة المأمون ان ثمة مرتكزات اساسية تحرك الثورات، ذلك ان الشعوب تتحرك بدافع الدين او اللغة او الثقافة او هذه العوامل مجتمعة. ولذا بدأ المأمون باهمها وهو الاسلام وعمل على نشر اللغة العربية. وجاء بنفسه الى مصر لقمع ثورة الفلاحين القبط لما استشعر ان هناك مرتكزا اقتصاديا لا بد من التصدي له. وفي خطط المقريزي فصول عن انتفاض القبط جاء فيها: «فحكم فيهم المأمون بقتل الرجال وبيع النساء والاطفال فسبى اكثرهم، وتتبع المأمون كل من يومي اليه بخلاف فقتل ناسا كثيرا» (13)، ومن الجدير بالذكر هنا ان لفظ الانتفاضة نفسه هو لفظ المقريزي، وفيه من دلالات الفهم ما هو كاف لابراز حقيقة مقاومة القبط للغزو العربي.

كما ارغم المأمون عددا من الخانعين البسطاء فبدلوا له دينهم صونا لحياتهم، ولم يكن المسلمون انذاك كثرة بين المصريين، ومنذ ذلك التبدل ظهرت بوادر الانقسام في الشعب المصري الى عنصرين قائمين حتى اليوم، اقباط ومسلمون، تولد عنهما احتكاك وصراع يظهر ويختفي.

ولان اساس الدولة واستناد النشأة كان دينيا محضا فقد استفاد الحكام من وجود الاختلاف الديني كوسيلة لتثبيت اقدامهم عن طريق اذكاء العصبية الدينية بين عنصري الشعب كيلا يتحدا ضد الاستغلال والاستبداد، اذ كان ذلك هو الوسيلة التي يلجأ اليها الحكام عند احتدام التناقضات بينهم وبين الشعب ووقوع المظالم. وهنا حدث شيء لم يكن قائما اثناء الحكم الروماني، فبعد ان كان اضطهاد القبط من جهة السلطة الحاكمة فقط، تحول الى اضطهاد عام شمل كل اسباب الحياة إبان الحكم الاسلامي. ولذا كان يزداد عدد المسلمين في عصور الاضطهاد، وفي عصور الهدوء يتغير العدد لصالح القبط.

فاذا ما عسف الاضطهاد الديني بالبلاد وتسابقت العامة الى اعمال القتل والسبي والنهب، كان القبط يظهرون اسلامهم صونا لحياتهم. قال احدهم في ذلك يوما:

اسلم الكافرون بالسيف قهرا
واذا ما خلوا فهم مجرمونا
سلموا من رواح مال وروح
فهم سالمون لا مسلمونا (14)

واذا ما هدأت واستقرت امور البلاد واذن لمن اظهر اسلامه بالعودة، رجع القبط الى دينهم. يقول المقريزي في ذلك عن الخليفة الظاهر: (..) واذن لمن اظهر الاسلام في ايام الحاكم ان يعود الى النصرانية فرجع اليها كثير منهم»(15).

وعلى ذلك ينبغي الا يفسر ان القبط قد استسهلوا التحول الى الاسلام هربا من الاضطهاد، فان التاريخ قد بين ان تمسكهم بعقيدتهم وانتماءهم القومي كان راسخا، وان الكثير منهم قد فضلوا الاستشهاد او الهروب من البلاد على ان يدخلوا الاسلام نجاة بدينهم.

بيد ان عقدة الاستعلاء العنصري لدى العرب كانت هي المرتكز في معاملتهم مع شعوب البلاد المفتوحة. اي من منظور اساسه ان العرب هم سادة البلاد بلا منازع، وهذا يعني الحط من قدر الاجناس الاخرى بكل الوسائل. ينعكس ذلك بوضوح في رسالة عمرو بن العاص لعمر بن الخطاب بعد فتح مصر، جاء فيها: «اعلم يا امير المؤمنين ان مصر قرية غبراء وشجرة خضراء (..) فعند ذلك تخرج ملة محقورة وذمة مخفورة يحرثون بطون الارض ويبذرون بها الحب يرجون بذلك النماء من الرب لغيرهم ما سعوا من كدهم، فناله منهم بغير جدهم» (16). كما ينعكس ذلك في رأي معاوية بن ابي سفيان في اهل مصر، قال: «وجدت اهل مصر ثلاثة اصناف: ثلث ناس، وثلث يشبه الناس، وثلث لا ناس. فاما الثلث الذين هم ناس فالعرب، والثلث الذين يشبهون الناس فالموالي، والثلث الذين هم لا ناس فالمسالمة يعني القبط(17).

لقد انعكست القيم البدوية والعصبية القبلية التي رافقت الفاتحون العرب بشكل واضح في سلوكهم العام. والتي تجلت في عصبية النسب واصطناع الاحزاب وعصبية العرب على باقي الاجناس الاخرى. يقول احمد امين: (..) وصرنا نسمع العربي يفتخر بقبيلته في الاسلام كما كان في الجاهلية»(18).

والأدلة على عصبية العرب على العجم خاصة موالي الفرس والشعوبية - او اهل التسوية - والذميين وما كانوا يقاسونه من الاحتقار والجور كثيرة. ولجورجي زيدان في «تاريخ التمدن الاسلامي» فصول في ذلك.

العهد العمري

كان العرب يشترطون في الجزية ان يؤديها اهل الذمة «عن يد وهم صاغرون». والمراد بعبارة «عن يد» اي يعطون الجزية بانفسهم ولا يرسلونها، اما «صاغرون» فتعني خاضعون اذلاء. فقد اجتهد الحكام المسلمون وارسوا القواعد في تصغير واذلال اهل الذمة، ولا سيما النصارى والتضييق عليهم.

والقاعدة التي نسبت لعمر بن الخطاب في معاملة الذميين والتي عرفت بـ«العهد العمري»، والتي ما زالت تعاني مجتمعاتنا من آثارها، اشترط فيها على النصارى الا يستحدثوا ديرا ولا كنيسة ولا صومعة راهب، والا يجددوا ما خرب منها، والا يعلوا على المسلمين في الابنية، والا يسمعوهم اصوات نواقيسهم، وان يخفوا دفن موتاهم، وان يمنعوا من ركوب الخيل عتاقا وهجانا، وان يغيروا هيأتهم بلبس الغيار وشد الزنار.. الخ (19).

كما كتب عمر في اهل الذمة: «من لم يطق - الجزية - فخففوا عنه، ومن عجز فاعينوه، فانا لا نريدهم لعام ولا لعامين». «سموهم ولا تكنوهم واذلوهم ولا تظلموهم، واذا جمعتكم واياهم طريق فالجئوهم الى اضيقها»(20). كما اوصى بالا يستعملوا اهل الذمة.

وكتب ايضا: «ان تختم في رقاب اهل الذمة بالرصاصة، ويظهروا مناطقهم، ويجزوا نواصيهم، ويركبوا على الاكف عرضا ولا تدعهم يتشبهون بالمسلمين في ملبوسهم»(21).

وقس على ذلك سائر الحكام الذين اضطهدوا اهل الاديان الاخرى، فانهم كانوا يستندون الى فحوى «العهد العمري». وهي واردة في كتب الفقه من احكام اهل الذمة. فمعاملتهم على قدم المساواة ان لم تكن منكرا فهي مكروهة، وموالاتهم مخالفة لمعلوم من الدين بالضرورة. ولعل ذلك ما دعا اليه اكبر مرجعية دينية، شيخ الازهر السابق، عبد الحليم محمود في كتابه «الايمان» واصفا غير المسلمين في دار الاسلام بـ«الامراض المعدية» التي يجب عزلها صيانة للامة (22). وكما دعا اليه مصطفى مشهور، مرشد جماعة الاخوان المسلمين المصرية في نيسان (ابريل) عام 1997 مطالبا بطرد الاقباط من الجيش والمراكز القيادية وفرض الجزية عليهم (23).

فقط عندما تغاضى الحكام عن بعض ما في «العهد العمري» من التضييق على اهل الذمة، وسهلوا لهم الاختلاط بهم، واظهروا احترام معتقداتهم، ساد جو من الاعتدال والتسامح وخفتت عصبية العرب، ونهضت الدولة مثلما حدث في العصر العباسي. ولكن سرعان ما انقلبت الامور واشتدت سطوة رجال الدين والفقهاء فاخذ الحكام وارباب المناصب يجاهرون باحتقار غير المسلمين ويبالغون في اضطهادهم ويعاملونهم معاملة الاعداء، فكان ذلك مقدمة لخراب الدولة وسقوطها.

وعليه فان نصيب القبط من الاضطهاد ابان الحكم الاسلامي فاق كثيرا ما كان ابان الحكم الروماني. ومن امثلة ذلك ان كان القبط يؤمرون بحمل الصلبان الخشبية الثقيلة على اعناقهم في الطرقات علانية، وبوضع تماثيل الشياطين على ابواب منازلهم، وكانوا يلزمون بلبس الزي المرقع، وبعدم التحدث باللغة المصرية وقص لسان من تكلم منهم بها. وصفحات التاريخ المصري ابان تلك العهود مليئة بكافة الوان الاضطهاد الرسمي والشعبي.

غير ان حدة الطرح الاحادي الرؤية لدى البعض من الكتاب الاسلاميين لا يخدم سوى توجهات عرقية واصولية دأبت على استثارة الافكار العروبية الاسلامية للتأكيد على هوية الشعوب التي ساكنها العرب والاسلام في ديارها بانها انصهرت في بوتقته، وقد زالت ذاتيتها زوالا. ولا يخفى ان هذا الكلام نفسه فيه ما ينفيه من التقاطع والتواصل الثقافي والحضاري الذي لا يمكن بأية حال من الاحوال ان ينكر الا من وجهة النظر الاصولية الضيقة، والتي تبدو متبلورة في مفهوم الهوية. وهي وسيلة هدم وانحلال لا وسيلة بناء واتصال.

ان القيم البدوية البدائية التي تمسك بها الفاتحون العرب ظلت تضرب باطنابها في مجتمعاتنا الى يومنا هذا. ولعل بعض اشكاليات العقلية البدوية المنغلقة تنعكس بوضوح في ظاهرة محاباة الذات والغاء الاخر، وتمجيد السلف واظهار حسناته فقط دون نقض سلوكياته نقضا علميا.

ان سبب اجهاض مشروع النهضة - والذي يؤرخ له بحملة نابليون على مصر وتبناه فيما بعد محمد علي في مطلع القرن التاسع عشر - يرجع على الارجح الى سيطرة العقلية البدوية المنغلقة على غالبية رجال الدين والعامة. وهو ما ذكره ارنولد توينبي، صاحب النظرية الشهيرة «التحدي والاستجابة»، عن مصير الحضارة العربية الاسلامية ودور الحركات السلفية المنغلقة في محاربة التطوير والتحديث يمثل انحلالا حضاريا(24).

ان ما تفتقر اليه مجتمعاتنا المعاصرة هي الدراسة التاريخية العلمية المجردة من التعصب ومحاباة الذات، وتقييم هذه الدراسة تقييما موضوعيا ينطلق من مفهوم النقد الذاتي الصحيح، والسعي الى كشف الحقائق وتحليلها لمعرفة جوانب القوة او الضعف فيها.

لقد استوجب البيان لان التدوين التاريخي للوقائع التي مر الكلام عليها ينبغي الا تستثير احتكاكا هو في مجريات الاحداث المعاصرة بمعزل عن الارادة الكامنة في اي امة من الامم.

* باحث من مصر يقيم في المانيا

هوامش

1) راجع مقال قاسم عبده قاسم - بعد اربعة عشر قرنا من دخول الاسلام الى مصر: هل كان فتحا ام غزوا؟ جريدة «الحياة» اللندنية - تراث 1999/7/11، والحوار الصحافي بجريدة «القدس العربي» - ادب وفن 1999/9/23.

راجع ايضا مقال كمال حبيب - الدلالات الحضارية والانسانية للفتح الاسلامي لمصر، جريدة «الحياة» اللندنية - تراث 1998/4/23.

2) الفريد ج. بتلر - فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريد ابو حديد، مكتبة مدبولي - القاهرة 1990، ص 42.

3) بتلر ص 243 - 4.

4) بتلر ص 377، راجع ايضا ص 323.

5) بتلر ص 254.

6) بتلر ص 263 - 4.

7) بتلر ص 266.

8) بتلر ص 488، راجع ايضا تقي الدين المقريزي - الخطط، طبعة بولاق 1270هـ، ج1 ص 167.

9) بتلر ص 457.

11) المقريزي ج1 ص 168.

12) خليل عبد الكريم - شدو الربابة بأحوال مجتمع الصحابة، منشورات سينا - القاهرة 1997، ج2 ص 49 - اثار حفيظة المتطرفين فسارعوا بمصادرته، راجع ايضا المقريزي ج2 ص 141.

13) المقريزي ج1 ص 81.

14) المقريزي ج2 ص 498.

15) المقريزي ج1 ص 355.

16) أبو المحاسن الاتاكبي - النجوم الزاهرة، دار الكتب المصرية - القاهرة 1929، ص 33.

17) المقريزي ج1 ص 50.

18) احمد امين - ضحى الاسلام، دار الكتاب العربي - بيروت 1933، ج1 ص19.

19) ابو بكر الطرطوشي - سراج الملوك، المطبعة الخيرية بجمالية مصر 1307هـ، ص 110، راجع ايضا ابو حسن الماوردي - الاحكام السلطانية، دار الكتب العلمية - بيروت 1978، ص 145.

20) الحافظ علي بن الحسن (ابن عساكر) - تاريخ دمشق، دار الفكر - بيروت 1995، ج2 ص183.

21) المقريزي ج1 ص76.

22) راجع عبد الحليم محمود - الايمان، دار الاسلام - القاهرة 1972، ص 48.

23) راجع مجلة "Al-ahram Weekly" 3 نيسان (ابريل) 1997.

24) راجع منح خوري - التاريخ الحضاري عند توينبي، بيروت 1960، ص 127.